

المبحث الثاني

عوامل تكوين الرأي العام

في ظل ما نشهده اليوم من ثورة المعلومات، وتقلص الدور الرقابي للحكومة على وسائل الإعلام وتوجيهها، فقد أصبح لهذه الوسائل أثراً كبيراً في التعبير عن رأي أفراد المجتمع كما هو، لا كما تريده الحكومة أو القوى الأخرى المؤثرة في المجتمع.

هناك عوامل معينة يجب توافرها حتى يؤدي الرأي العام وظائفه الحقيقية على الوجه الأكمل، ويعبر بصدق عن توجهات الرأي العام في المجتمع، ومن هذه العوامل ما يأتي:

١ - حرية الرأي

من الصعوبة بمكان أن ينشأ حوار سياسي أو اجتماعي موضوعي وصادق يقود إلى رأي عام سليم يعبر عن مصالح

أفراد المجتمع في ظل غياب التشريعات والقوانين التي تكفل حرية الرأي والتعبير للمواطن. فالرأي العام وقاية للمجتمع من الظلم السياسي والاجتماعي ومن الفساد المالي والإداري، وما ينتج عنه من مصادرة لحق المواطن في العيش الكريم.

وما لم تكن هناك قوانين تحمي حقوق الأفراد في التعبير عن آرائهم دون خوف، فإن ذلك سينعكس سلباً على المجتمع، بل ربما يبلغ الأمر ذروة التأثير بقيام ثورات ضد النظم السياسية التي صادرت حق المواطن في التعبير عن رأيه تجاه قضايا الجهورية وحاجاته الأساسية التي ينتظرها من الدولة ومؤسساتها. وما شهدته العالم العربي من ثورات شعبية في السنوات القليلة الماضية إنما كان من أسبابه الرئيسة: الظلم غير المُعبر عنه، الذي وقع على الشعوب، فانتفضت.

وما ينبغي الإشارة إليه أن هناك أنظمة سياسية نصت على ضمان حرية الرأي والتعبير في دساتيرها وقوانينها الإعلامية، لكنها غير مطبقة عملياً وواقعياً، وإنما هي مواد أو بنود شكلية لا تحقق المقصود من حرية التعبير، وما ينتج عنها من تعددية منضبطة في الرأي تحقق مصالح الأمة والمجتمع.

حرية الرأي والتعبير مهمة في تكوين الرأي العام السليم، ولا تتحقق إلا إذا تمتع الإعلاميون والمؤسسات الإعلامية وقادة الرأي في المجتمع بمساحة كبيرة من هذه الحرية؛ وهي حرية لا تخضع لضغوط الحكومة في فرض مسار معين للرأي العام من جهة، أو الإقصاء للرأي المخالف من جهة أخرى. وإذا نجحت وسائل الإعلام وقادة الرأي في ذلك، فإنهم قادرون على مساعدة الجمهور في فهم القضية موضوع النقاش، ومن ثم تكوين رأي عام موضوعي يخدم الدولة والمواطن على حد سواء.

٢ - وجود الكفاءات التي تقود الرأي العام

وجود الإعلاميين الذين يؤمنون بحاجة المجتمع لرأي عام تجاه قضاياها الأساسية التي يعيشها أو يواجهها، هو مطلب مهم، وعامل أساس من عوامل تكوين الرأي العام الحقيقي والمعبر عن توجهات أفراد المجتمع ومصالحهم المادية والمعنوية.

ومن الضرورة بمكان أن تكون الكفاءات الإعلامية التي تقود الرأي العام ممثلة لثقافة المجتمع في حاجاته المعنوية، وصادقة ومخلصة في تمثيلها للحاجات المادية لأفراد

المجتمع. أما الكفاءات التي تفتقد هاتين الصفتين الرئيسيتين فإنها كفاءات لا تمثل إلا نفسها، أو من تتحدث بالنيابة عنه من أصحاب المصالح الضيقة التي لا تخدم الوطن، ولا تحقق حاجات المواطن.

٣ - الموضوعية

من المهم أن يرتبط الطرح الإعلامي لمناقشة قضايا المجتمع بالموضوعية، بعيداً عن الدعاية للحكومة أو مصالح القوى النافذة أو المؤثرة في المجتمع. ذلك أن تغييب الحقائق أو تجاهل الوقائع أو التلاعب بنتائج استطلاعات الرأي العام من شأنه أن ينتج رأياً عاماً لا يعكس توجه الأفراد أو مجموع المواطنين في القضية التي يدور حولها النقاش.

وعنصر الموضوعية في تكوين الرأي العام تناوله المتخصصون في دراساتهم وبحوثهم بالتأكيد عليه، وضرورة أن يكون من يوجه الرأي العام متحلياً بقدر كبير من الأمانة والموضوعية التي تقدم المصلحة العامة للمجتمع على مصالح الأفراد أو الجماعات، سواء كانوا من الساسة وصناع القرار، أو من التجار، أو جماعات المصالح. ولذلك كتب كثير

من الباحثين^(١) مشككين في النتائج التي تتوصل لها كثير من استطلاعات الرأي العام التي تقوم بها وسائل الإعلام أو المؤسسات السياسية، والتي يتم فيها التلاعب بنتائج الاستطلاعات لتخدم المصالح المادية أو الأيديولوجية لجهات معينة في المجتمع، تكون نتيجتها أن يتبنى الرأي العام توجهاً مزيفاً، بحيث يُظن أنه الحقيقة التي عبر عنها أفراد المجتمع.

٤- توافر المعلومات الكافية عن قضايا الرأي العام

المعلومة هي الأساس الذي يُبنى عليه الرأي العام، وهي مادته ومضمونه. وما لم يكن الرأي العام مستوفياً للمعلومة المتعلقة بالقضية أو القضايا التي يُناقشها، فإنه سيؤدي إلى اتجاه ناقص أو غير ناضج.

ولا بد من توافر شرطين رئيسين في المعلومة التي يبني عليها الرأي العام موقفه السليم من القضية التي يدور حولها النقاش، وهما:

- (١) الكفاية المعلوماتية: بمعنى أن تستوفي القضية المعلومات اللازمة لاتخاذ موقف تجاهها. فالكثافة

(1) Dooley , Patricia. (Spring , 2002). Constructing Public Opinion: How Political Elites Do What They Like And Why We Seem to Go With It. Journalism And Mass Communication Quarterly , 79 , (1) , p.221.

في المعلومة تساعد على فهم القضية من جوانبها المختلفة، ومن ثم يستطيع المواطن أن يبنى موقفه على وعي معرفي كامل يساعده على إبداء الرأي السليم والناضج.

(٢) مصداقية المعلومة: إذ لا يصح أن يُبنى الرأي العام على معلومات مُضَلَّلة أو غير مُوثَّقة عن القضايا التي يناقشها. وإذا كان هذا الشرط ضرورياً للمواطن العادي، فإنه يتأكد في حق المؤسسات الإعلامية أو قادة الرأي المؤثرين في المجتمع، وبخاصة في عصر تعدد منافذ المعلومة، وقدرة الكثيرين على نشر معلومات دون التثبت من حقيقتها ومصداقيتها، كما نراه واقعاً في بعض القضايا التي يثيرها أفراد أو قادة رأي عبر وسائل الإعلام الجديد.

٥ - تفعيل مؤسسات المجتمع المدني:

وهي المؤسسات غير الحكومية التي تدافع عن حقوق المواطن، وتعبّر عن رأيه الحقيقي، ومنها المؤسسات الإعلامية. ومفهوم مصطلح المجتمع المدني يشير إلى مجموعة واسعة النطاق

من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجود في الحياة العامة، وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين من المواطنين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو خيرية. ومن ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى مجموعة عريضة من المنظمات، تضم: الجماعات المجتمعية المحلية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية^(١).

٦ - وجود مراكز قياس الرأي العام:

وجود مراكز قياس الرأي العام يُعدّ ظاهرة صحية في المجتمعات التي تقدر قيمة المواطن، وتأخذ رأيه في الحسبان في القضايا التي يواجهها مجتمعه، وبخاصة تلك القضايا المتعلقة بحياته ومعاشه، مثل التعليم، والصحة، والإسكان، وغيرها من القطاعات الخدمية.

إن رأي المواطن في مثل هذه القضايا لن يكون مؤثراً لدى صانعي القرار في مؤسسات الدولة المختلفة ما لم تكن له

(١) انظر (موقع المجتمع المدني على شبكة الإنترنت).

مراكز متخصصة في قياسه، ومن ثم إعداد التقارير ذات العلاقة بحجمه وصدق تمثيله للعينة المدروسة ورفعها إلى الجهات ذات الاختصاص للاستفادة منه في صناعة القرار.

وعلى الرغم من اختلاف الباحثين^(١) في أهمية قياس الرأي العام وتأثيره في صناعة القرار السياسي وجدلهم الكبير حول مصداقية نتائج استطلاعات الرأي، إلا أن وجود مراكز متخصصة في قياس الرأي العام بات عاملاً مهماً في المجتمعات الحديثة التي شهدت تطوراً كبيراً في تقنيات الاتصال ووسائله غير الخاضعة لرقابة الحكومة، وهي وسائل وجد فيها المواطن منفذاً للتعبير عن رأيه في قضايا مجتمعية، ولذلك فإن من الضرورة أن تدرك الحكومات أهمية تقنين صوت المواطن بإنشاء مراكز متخصصة لقياس الرأي العام، أخذاً في الحسبان أن رأي عينة ممثلة للمجتمع في قضية معينة يعكس إلى حد كبير المزاج العام لبقية أفرادها.

إن وجود مراكز لقياس الرأي العام مؤسسة على منهجية تهتم بالطريقة العلمية لاختيار العينة، ثم المصداقية في كتابة

(١) انظر: صدقة محمد محمود ونجوان فاروق شبيحة. دور استطلاعات الرأي العام في صنع السياسات العامة. بحث مقدم إلى (المؤتمر الدولي لاستطلاعات الرأي العام واتخاذ القرار: النظرية والتطبيق). القاهرة، فبراير ٢٠٠٧م.

تقرير عن نتائج الاستطلاعات التي تقوم بها^(١) يُعدّ عاملاً مهماً من عوامل تكوين الرأي العام السليم في المجتمع، ومن ثم الاسترشاد بهذا الرأي عند صناعة القرارات المتعلقة بالشأن العام في المجتمع.



(1) Rebert W.Oldendick. (October, 2002). The Role of Public Opinion in Policy and Practice. USC Institute for Public Services and Policy Research, P.33.